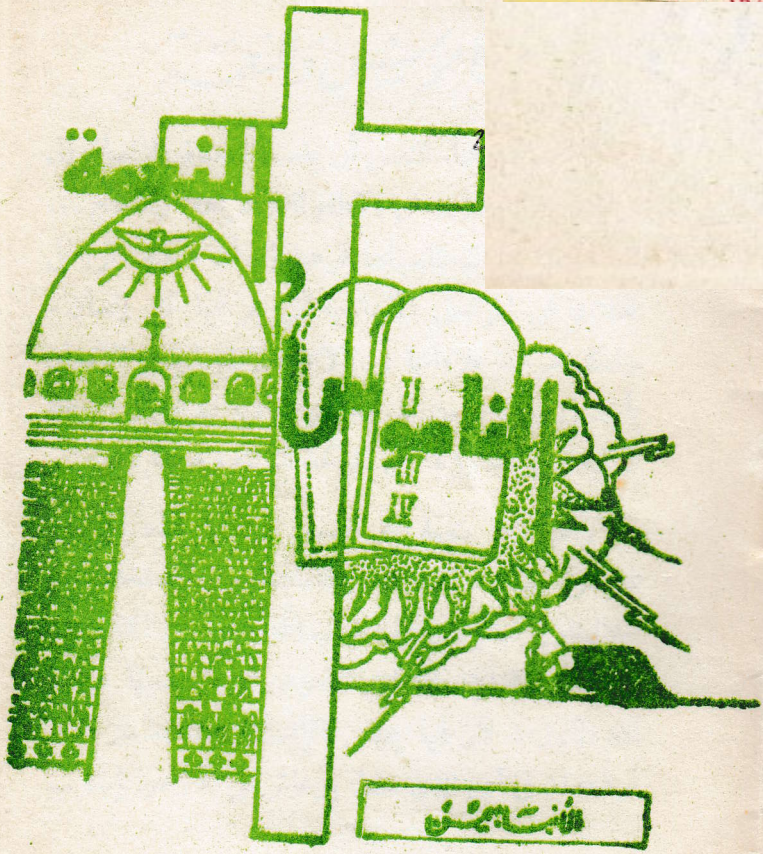


ایدارشیہ ملوی وأنصنا والأشمونین



مكتبة

الناموس والنعمة

لقد تعود علماء النفس أن يقسموا حياة الإنسان إلى مراحل نفسية ثلاث هي : الطفولة والمراهقة والنضج ... وإذا كانت هناك تقسيمات فرعية إلا أن هذه المراحل الثلاث هي المراحل الأساسية التي يمر فيها كل إنسان . ولكل مرحلة علاماتها ودلالاتها ، وعندما ينمو الإنسان يأخذ في الخروج من المرحلة التي عاشها ليدخل في المرحلة التالية حتى يتجاوزها إلى المرحلة الثالثة وهكذا ...

ونحن نجد بنعمة الله تقسيماً موازياً لهذه المراحل السيكولوجية عند التحدث عن القامات الروحية نستخلصها من خلال تاريخ البشرية وخاصة شعب الله في الكتاب المقدس .. فهناك مرحلة الإنسان قبل الناموس أو ما نسميها مرحلة آدم الأول ، لأن فيها يعيش الإنسان وفقاً للضمير الذي أودعه الله في آدم الذي سقط ؛ وعاش على الأرض بأسلوب

ومنهج معين.. ثم هناك مرحلة أخرى إسمها مرحلة شريعة
سيناء ، أو ما نطلق عليها مرحلة موسى . . هذه المرحلة
تقسم بالوصايا الطقسية والأدبية وكافة الشرائع التي أعطاهها
الله لموسى على جبل سيناء . . وظل شعب إسرائيل يتعامل
مع الله من خلال هذه الشريعة والوصايا التي يطلق عليها
الكتاب كلمة التاموس . . ولكن بمجيء الرب يسوع له
المجد إلى عالمنا هذا ظهرت مرحلة أخرى ليست كما سبقنا
ولسكنها إمتداد لها نحو السكك، وهذه المرحلة هي التي نطلق
عليها مرحلة النعمة أو الحياة حسب المسيح . .

وقد يحدث في حياة الإنسان أن يمر على هذه المراحل
الروحية اطراراً مع نموه في مراحل العمر الزمني . . فيعيش
أولاً إبناً لآدم الأول وهو طفل . . بينما يحيا متديناً على
مستوى اليهود وهو مراهق ، ثم يتلاسر مع النعمة ويختبر
حياة الشركة والإختبار الداخلي مع المسيح . . .

وقد يحدث في حالات بعض الناس أن يروا على
مرحلة دون أخرى .

وقد يحدث في حالات أخرى أن يتثبت الإنسان في

مرحلة ويبقى عندها لا يستطيع أن يتجاوزها . .
وإذا ما أخذنا كل مرحلة بالتأمل والفحص البسيط
أمكن لكل واحد منا أن يحدد موقعه من هذا الطريق
ويعرف في أي مرحلة يعيش ، ومن أي نوع من أنواع
التدين يحيا ؟ ١

مرحلة آدم الأول

هي مرحلة التركز حول الذات ، تعتبر النفس فيها
ذاتها محور الكون كله تماما كما يفعل الطفل الصغير الذي
ينظر إلى العالم من خلال ذاته فهو يتصور أنه يملك كل
شيء . وإذا ما امتدت يده إلى أي شيء اعتبره ملكاً له
مهما كان هذا الشيء ومهما كان صاحبه ، وهو يعجب بأبيه
ويعتبره أعظم الموجودات لأنه أبوه هو ، وهو يحب أمه
لأنها تعطف على ذاته وتشبهها وتملأها حناياً وحنواً ، وهو
لا يريد أن يوجد غيره من يحتل عرش الامومة والابوة ..
فإذا ما وُلد صغير آخر ينافسها فإنه يغير منه غير مرة ،
وكثيراً ما يحاول إزائها ... وهو يتعامل مع الأشياء من
خلال اللذة والالم . فالشيء الذي يلذ له يصبح حسناً

عنده حتى لو كان ساماً ، والشئ الذى يؤلمه يكون مكروها
لديه حتى لو كان دواء شافياً . . . ولهذا فهو يستخدم الفم
كوسيلة إستكشافية وإستطلاعية لكافة الأشياء التى يقع
عليها بصره أو تلمسها يده . . . وشحنة الليبدو (الغريزه
الجنسية) لا تتركز عند الأعضاء التناسلية بل تكون
موزعة على الجسد كله ، لهذا يجب أن يحضن ويداعب
ويقبل ويلبس جسمه كله برقة وحنو شديد . . .

أليست هذه المرحلة هى حالة آدم بعد السقوط . . .
فشهوة الأكل إسقاطه . . . ولذة التفاحة فى الفم أغرته .
والرغبة فى التأله والإستقلال قد ملأته ، وأضحى متمركزا
فى ذاته ، وعلاقاته مع الآخر تلوثت ، فهو يتسلط على
حواء وهى تسعى وراءه وتشتهيه بل وقد إمتدت روح
الغيرة فى أولاده إلى الجسد الذى فيه قام قايين على أخيه
هابيل فقتله .

وهذه المرحلة قد ينميت عندها الإنسان مهبا كبيرا فى
العمر ومهبا تقدمت به الأيام . . . قد يكون رجلا كبيرا
بل وشيخاً طاعناً ونفسيته نفسية الطفل ، وقامته الروحية

لم تتجاوز مرحلة الذاتية أو (الترجسية لسببة إلى نارسيس في الأساطير اليونانية الذي كان يعجب بحمال وجهه وظل ينظر معجباً بوجهه على صفحة المياه حق مات) وكثيرا ما يكون هذا الكبير عائشاً على مستوى اللذة والألم لم يتجاوزها إلى المراحل التالية التي هي الحلال والحرام ثم الحق والباطل، وكثيرا ما يكون الجسد هو صاحب السلطان الأول على غالبية التصرفات والسلوك، بل وكثيرا ما تكون أحاديث مثل هذا الإنسان كلها منصبة على تمجيد ذاته والإطنا ب في شرح أعماله المحميدة وإنتصاراته الرائعة، الأمور التي يمج منها الناس ويرفضونها ويشتمزون من تكرارها ويضطرون إلى سماعها عن مفض مثل هؤلاء الناس يتعبون كثيراً في حياتهم الزوجية لأن الزواج شركة بذل و إعطاء وحب وإنتفاع، وكيف يمكن أن يحب من عاش أسيراً في حبس ذاته، وكيف يمكن أن يعطى من بات ذليلاً لأنانيته وعجبه وكبرياء قلبه.

يشرح الرسول بولس هذه المرحلة في مواقف كثيرة وآيات عدة نذكر منها:

+ كالم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم
الله إلى ذهن مفروض ليفعلوا ما لا يليق . ملوثين من كل لثم
وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً
ومكراً وسوءاً نمامين مفترين مبغضين لله ثالين متعظمين
مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين . . بلا فهم
ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة . . (رو ١ :
٢٨ - ٣١) .

+ الجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس من يصلح
صلاحاً ليس ولا واحد . حنجرتهم قبر مفتوح . بالاستهم
قد مكروا . . سب الأصلال تحت شفاههم . وفهم ملوء لعنة
ومرارة . أرجلهم سريعة إلى سفك الدم . في طريقهم
إغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه .
(رو ٣ : ١٢ - ١٧)

+ الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون . . .
إهتمام الجسد هو موت . . الذين هم في الجسد لا يستطيعون
أن يرضوا الله . (رو ٨ : ٥ - ٨)

إن هذه المرحلة هي التي يسميها الكتاب مرحلة الحياة حسب الجسد . . . مرحلة سلطان الإنسان العتيق الفاسد حسب غرور وشهوات هذا العالم . . . مرحلة العبودية للخطية الكائنة في الأعضاء ، والتي ورثها كل مولود لأمرة لأنه بالآثام جبل به وبالخطايا اشتبهت أمه . . .

في هذا المستوى يندرج جميع الذين رأهم يوحنا في قائمة المرفوضين الذين ليس لهم نصيب في الدهر الآتي . . . وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقائلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني ، رؤ ٢١ : ٨ وإذا كان أبونا آدم وقد على رجاء المسيا ونزل إليه المسيح من قبل الصليب وأدخله إلى الفردوس فإن الذين ورثوا منه خطيئته ولم يؤمنوا إيماناً حياً ولم يعيشوا على رجاء المجيء الثاني فهو لاهم الأموات بالخطية

— • —

مرحلة موسى (الناموس)

يمكننا تصوير هذه المرحلة من خلال نظرة الإنسان إلى الله ، ونظرة إلى الآخرين ، ونظرة إلى نفسه . . .

ففي هذه المرحلة والتي تمثلها الحياة حسب الناموس نجد أن الإنسان لا يستطيع أن يتقابل مع الله إلا من خلال الشريعة فقط . قال الشعب لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم الله معنا لئلا نموت . فقال موسى للشعب لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا . فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله . .

(خر ٢٠ : ١٩ - ٢١)

قال الرب لموسى . . إذهب إنحدر ثم أصعد إلى الجبل أنت وهرون معك . وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا . .

(خر ١٩ : ٢٣ - ٢٤)

وهكذا عاش شعب إسرائيل في العهد القديم لا يتواجه مع الله إلا من خلال موسى والأنبياء . . وكانت العلاقة التي تربط الشعب بالله منحصرة في عدة وصايا أدبية وطقسية (الناموس) يلزم ممارستها بكل دقة ، والذي يخالف واحدة منها موتاً يموت . . . على أن هذا الناموس

لم يستطع أن يصلح ما فسد . إنما كل الذي فعله أنه كشف الفساد الذي في الداخل كما تدخل الشمس حجرة مظلمة مليئة بالأتربة فتكشف الغبار وتوضح ما في الحجرة من أوساخ وهذا ما عبر عنه الرسول في روميه ، وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية ، روم ٥ : ٢٠ وفي موضع آخر يقول الرسول ، لم أعرف الخطية إلا بالناموس فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته ، ولكن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة لأن بدون الناموس الخطية ميتة . أما أنا فكنت بدون الناموس عائشا قبلا . لكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فت أنا . . . روم ٧ : ٧-٩ ، ومعنى هذا أن كل ما عمله الناموس الذي هو روحى وصالح ومقدس أنه كشف الفساد الذي في طبيعة الإنسان ، فوصية لا تشته هي التي سلطت أضواء مقدسة على الطبيعة الفاسدة السائدة الكائنة في أعماق الإنسان ، وبينت رغبات القلب وتحركاته وميوله الرديئة ، حتى التي لم تخرج إلى حيز التنفيذ . . . وهكذا تنكشف الخطية بالوصية أنها خاطئة جدا . والرسول يشرح حالته أنه كان

سابقاً قبل أن يتقابل مع الرب يسوع هائثا حسب
الناموس ولكنه كان له حرفة الناموس ، لم يكن له بر الله
الذى نلناه فيما بعد في المسيح . فلما جاءت الوصية بقوتها
ظهرت الخطية في فسادها وذنسها وعاشت أيامه ظاهرة بينما
ماتت عنده كل أعماله وآراءه الطيبة التي احتفظ بها عن
نفسه (البر الذاتي) وأكد له الروح القدس أنه كان بدون
المسيح ميتاً ، فعاشت الخطية ومات هو .. وهذا هو النفع
الجزيل للناموس أنه كشف كما أنه مؤدب ومرتب لكي
يهدب النفس ويعدّها لتقبل الحياة حسب الروح ، الحياة
الجديدة التي يحيا فيها بر المسيح وليس بر الإنسان . وكثير
من الناس يعيشون وفقاً لروح اليهود حتى ولو كانوا قد
نالوا سر المعمودية وهم صغار ، إلا أنهم لم يعيشوا حسب
الحياة الجديدة والولادة الثانية التي وهبت لهم مجاناً في هذا
السر العظيم المقدس .

ويمكننا أن نصور مثل هذا التدين في النقاط الآتية :

١ - الخوف من الله وممارسة العبادات ، لاعتقاب

بل عن خوف ورعب .

٢ - إتباع مستوى الحرام والحلال.. فالإنسان هنا دائماً يسأل هل هذا حرام أم حلال ؟ . لهذا يسمى وراء كل من يعطيه فتوى تحلل له أو تحرم له؟ تماماً كما كان يفعل القريسيون في المجتمع الذي عاشه الرب يسوع في فلسطين . هذه المراهقة النفسية والروحية تظل ثابتة في حياة الإنسان لأنه لم يتجاوز هذه المرحلة إلى حياة النعمة، حياة حرية مجد أولاد الله .

وهذه المرحلة يسميها الرسول بولس في غلاطية مرحلة الحياة عند أولاد الجارية العبدية وليس أولاد الأم الحرة وقولوا لي أتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس أستم تسمعون الناموس فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة... كل ذلك رمز لان هاتين هما الهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر.. لأن هاجر جبل سيناء في العربية ولكنه، يقابل إورشليم الحاضرة فإنها مستعبده مع بنينا . وأما إورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً فهي حرة... ماذا يقول الكتاب طرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع

بن الحررة . إذا أيها الاخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد
الحررة (غلا ٤ : ٢١٠ - ٣١)

٣ - وأما عن نوعية التدين فهو غالباً ما يكون
سطحياً وشكلياً لأن الحياة كلها مصبوغة بالخوف ومتسمة
بتأدية الفرائض والواجبات وممارسة الطقوس الشكلية مع
إفراغها من كل مضمون روحي وضمت لاجله .

كثيراً ما نجد في كنائسنا أناس يعيشون على هذا
المستوى ، يؤدون كل الممارسات ، ويحضرون كل العبادات
بانتظام ، ويتممون كل الطقوس وأما قلوبهم فبعيد عن الله .
مثل هذه العبادة مكروهة عند الرب . ليس العيب في الطقس
وللشكل ولكن العيب كل العيب ، فيمن تحجر عن الشكل
وأفرغ الشكل من المضمون والجوهر والعمق الروحي .
أما من جهة نظرة اليهود إزاء الناس فهي تسير على مستوى
السعي نحو إرضائهم أو إغضابهم لأن التدين في هذه المرحلة
يخلو من أم عمق له وهو « الحق » وهذه العلاقة تتناغم مع
السطحية في التدين . .

وأما نظرة الموسوي إزاء نفسه فهي تمتلئ
من الير الذاتي والشعور بصلاحيته أعماله . . فهو دائماً

يقول عن نفسه ، اللهم إني أشكرك إني لست مثل باقي الناس
الاشرار ، وهو كثيراً ما يحرس على الإفادة من الدين لتضخيم
ذاته وتفخيمها وتسميتها . . وهو لا يطبق إطلاقاً أن يدخل
سيف الحق إلى الداخل ليجرح هذه الذات المنتفخة ويصلبها
ويमित أهواها وميوها اريدئة إذ أن كثيراً ما يكون
القدنين هنا غلافاً سميكاً وقبراً جميلاً يخفي عظاماً نتنة .

٣ - الحياة حسب المسيح

تتميز هذه القامة الروحية بالحياة الداخلية . . . ها
ملسكوت الله داخلكم ، . فأنه هنا ليس بعيداً عن الانسان
وليس مجرد شرائع وطقوس ومارسات واسكن الله هو
نور وحياة في داخل الانسان (أما فيهم وأنت في ليكونوا
مكلمين إلى واحد) يو ١٧ : ٢٣ . فالذي نال الولادة الثانية
بالمعمودية ؛ والتقديس والتثبيت بسر الميرون ، وتناول
جسد الرب ودمه الاقدسين باستحقاق في جوفه واحشائه
كيف لا يحيا الله داخله ١٩ إن الرب يسوع نقل الانسان من
المستوى الموسوى إلى الحياة حسب النعمة والحق ، لأن
الناموس بموس أعطى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح
صارا ، يو ١ : ١٧

وماذا يقصد بالنعمة ١٩ النعمة هي العطايا الغنية التي أخذناها مجاناً وصار لنا استحقاقها من خلال التجسد والصليب والفداء والقيامة وصعود المسيح إلى السماء .

+ فالمؤمن بالنعمة يتبرأ من خطية آدم وينال بر المسيح
+ والمؤمن بالنعمة يتقدس أى يحيا المسيح فيه
فيقدس كيانه ويصير جسده هيكل للروح القدس .

+ والمؤمن بالنعمة يصبح ابناً . وبالنعمة يخلص
« بالنعمة أنتم مخلصون » ، ومن خلال وسائط النعمة ينال
كل هبة سماوية بواسطة الروح القدس العامل فى الكنيسة .

هذه النعمة الغنية هى التى عبر عنها بولس فى رسالته
إلى افسس أعظم تعبير بقوله « مبارك الله ابوربنا يسوع
المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى
المسيح . كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لتكون قديسين
وبلا لوم قدامه فى المحبة . إذ سبق فمينا للتبني بيسوع
المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته . لمذبح مجد نعمته التى أنعم
بها علينا فى المحبوب . الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا

حسب غنى نعمته . التي أجزأها لنا بكل حكمة وفطنة . إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدتها في نفسه . لتدبير ملء الازمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك الذي فيه أيضاً فلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأى مشيئته . لنكون لمجد مجده نحن الذين قد سبق رجائنا في المسيح .

(أفسس ١ : ٣ - ١٢)

ومن خلال هذا النص المقدس يمكننا أن نبين أن غنى النعمة قد بين لنا .

١ - أننا مختارون من عند الرب من قبل تأسيس

العالم . .

٢ - أننا مدعوون لتكون قديسين و بلا لوم قدام الآب

من خلال الخلاص الموهوب لنا من الابن .

٣ - أنه لنا الغداء غفران الخطايا بدم الصليب .

٤ - أنه عرفنا بأسراره الإلهية ومقاصده الأزلية

وأنه لنا نصيب فيه حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأى مشيئته .

هـ — أن هدف هذه النعمة التي اعطينا الحرية والتبني
والفداء والتبرير والتقديس وكل بركات الخلاص .. هدفها
النهائي هو جمع كل شيء في المسيح ليكون المسيح هو الكل
في الكل .

وباختصار فإن القديس أثناسيوس يقول : لقد
صار الله إنسانا لكي يصير الإنسان بنعمته إلها . . وهذه
الشركة في الآلوهة هي التي تكلم عنها إيريناوس والتي عبر
عنها الرسول بطرس في رسالته بقوله : كما أن قدرته الإلهية
قد وهبت لنا كل ما للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا
بالمجد والفضيلة . اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى
والثمين لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية .

(١ بط ١ : ٤ و ٣)

وأما الحق فهو السق الثاني من التدين المسيحي الحقيقي ،
فالرب يسوع أعطانا نعمته لكي نشهد له . وتكونون لي
شهوداً في اورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى
الأرض ، أع ١ : ٨ .

والكنيسة الحقيقية تسمى الكنيسة الشاهدة لأنها
تشهد لعريسها ومخلصها بحياتها وسلوكها ومحبة أعضائها

وطهارتهم وعفتهم وتجردهم وطول آفاتهم .. وتشهد ايضا أن يسوع حى فيها وأنه لا يزال يعمل فى التاريخ وأن إنجيله لإنجيل معاش وعملى وليس مجرد نظريات أو أيديولوجيات أو شرائع وقوانين وعظات . ه السلام الذى أنا اكلّمكم به هو روح وحياة .. لقد أثبتت كنيسة الرسل بحياتها أن كلامه حياة؛ وأثبتت بروحها ان الابن لا يزال يعمل بالروح القدس فيها .. ولقد كانت شهادة المسيحيين الاوائل شهادة جريئة حارة أمينة إذ يقول سفر أعمال الرسل ه وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم ، ا ع ٤ : ٣٣ وفى هذه الاية المقدسة تتلامم النعمة مع الشهادة للحق . لأن الشهادة بدون النعمة مرفوضة إذ تصبح شهادة شياطين أو مزيفين ، والنعمة بدون شهادة تكون كنور وضع تحت مكيال ، ووزنة طمرت فى الرمال .

والذى يميز حياة أولاد الله هو ذلك الروح الواحد والقلب الواحد والإيمان الواحد والمحبة الواحدة إذ يقول الكتاب المقدس وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم

يكن احد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء
مشركاً . (اع ٤ : ٣٢)

وهذه الحياة الخارجية تعبير عن أعماق الحياة الداخلية
فالحجة أثمرت مودة ، والإتضاع والقداسة أثمرت شركة ..
والمسيحية الحقّة أظهرت كنيسة واحدة مقدسة جامعة
رسولية .

فالحياة المسيحية — من منظور كنسي — هي حياة
أولاد الله مجتمعين معاً بروح واحد متذكّرين وصية الرب
ووعده بالجمي . الثاني الآتي المخوف المماوء بجداً متناولين
من الجسد والدم الاقدسين مجددين العهد مع المخلص أن
يعيشوا وفقاً للانجيل الذي إليه دعاهم .. فقط عيشوا
كما يحق لانجيل المسيح حتى إذا جنت ورأيتكم أو كنت
غائبا أسمع أموركم أنكم تثبتون في روح واحد بجاهدين معاً
بنفس واحدة لإيمان الانجيل ، في ١ : ٢٧ .

أيها الحبيب

+ إن كنت تعيش حسب الجسد فتمرّكرا حول الذات

فانت لاتزال تحيا ابنا لآدم الاول . هذه الحياه التي عبر
عنها الرسول إن كل من يحيا فيها يكون ابنا للغضب وآية
للهلك .

+ وإن كنت تعيش حسب الناموس متمماً للفرائض
والطقوس لا تمس لا تجس لا تذوق . فهذا اليهود لا يصلح
لشئ سوى أن يبرر ذاتك أمام نفسك ، ولكنه لا يمنحك
البر الذي في المسيح .

+ إما ان كنت قد إختبرت المسيح في قلبك وذهقت
النعمة وتمتعت بجزية مجد أولاد الله فتسلك بالذي عندك
وجاهد وثابر على إحتمال الآلام وأثبت مع إخوانك
المؤمنين مجاهداً معهم بنفس واحدة لإيمان الإنجيل .

مكتبة
كنيسة القديس ارمرقس والابا بطرس
سنة ١٩٥٠ م

رقم الكتاب : _____
اسم المؤلف : _____
تاريخ الورد : _____

يطلب من

المكتبة المرقية بلوى - ص.ب ١٣
وجميع المكتبات المسيحية